عَــلّ وربّمــا

شعــر



عَلّ وربّما

أحمد آل مجثِّل

الغلاف بريشة الفنان :
فهـد بن نـاصر الربـيـق

الإخراج الفنى
خـــالد شـــوارب

إدارة التسويق

تليفاكس: ٢٥٧٩٥٨٩٦

email: thakafa.ad@gmail.com

FaceBook: thakafabookstores

بطاقة فهرسة

آل مجثل ، أحمد

عل وربما : شعر / أحمد آل مجثل.- القاهرة :

مؤسسة أخبار اليوم ، ٢٠٢٠.

ص؛ سم

تدمك ٧ ١٨٤٩ ٠٨ ٩٧٧ ٩٧٨

الشعر العربي – تاريخ العصر الحديث

أ – العنوان.

٨١١,٩

عَــلّ وربّمــا

أحمد آل مجثِّل

ⓒ **احمد عبدالله مجثل الغامدي ، ١٤٤١هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي ، احمد عبدالله مجثل
علّ وربما. / احمد عبدالله مجثل الغامدي .- الرياض ، ١٤٤١هـ
١٥٠ ص ؛ ..سم

ردمك: ٠-٣٣-٤٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الشعر العربي - السعودية أ.العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١ ١٤٤١/٨٧٢٧

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨٧٢٧
ردمك: ٠-٣٣-٤٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

إهـــداء

إلى روحه الطاهرة

التي تعلّمت منها الحكمة

وربّاني فيها على الفضيلة

وغدت مآثره الحميدة

حقلاً للسّنابل في حياتي

والدي الشيخ عبدالله بن مجثّل

رحمه الله

أحمد آل مجثّل

مَصارع العُشّــاق

طربَ الفؤاد
بلهفة المشتاق
وتذكرت بَعضُ الحروف رفاقي

وتسارعت
نحو القَريض أناملي
كي تكتسي أبياتها أوراقي

وتجمّلت ورداً
وبعض جِنانها
ظمأى تبيتُ فهاكمُ أحداقي

يا حضرةَ الأحباب

إني عاشقٌ

مثل السنابل نبضها أشواقي

يا أعذب النّغمات

في قاموسها

ردّوا إليّ مصارعَ العُشّاق

ردّوا إلى

قلب المُتيّم روحه

وتأملوا عند البُعاد فراقي

ما كنت أحسب

أنّ مَن أحببتهم

يوماً تضيق بحالهم آفاقي

فلطالما

أسرجت ليل همومهم

ورتقت من بعد الوصال فَتاقي

ولطالما

أبكت حُروفُ قصائدي

بعض العيون فزادها إشفاقي

لو كان قلبي

جُنّةً لوهبتها

دمعي وإن ضنّوا عليّ رفاقي

وطــنُ السّلام

قبّلتُ

بين الحاجبين ثراها

واستبشرت يوم اللقاء سماها

أيقنتُ

أن العاشقين كواكبٌ

تعلو بهم فوق النجوم رُباها

ما زلت

في شَوقٍ ومن شجنٍ

لها أصبو وأرسُم أعيُنا وجِباها

يا دانة الدنيا

وحاضرها النّدي

وقبلةً لا أرتجي إلّاها

نُقِشَت

كما شاء الوفاءُ قصيدتي

وغدًا على ثغر الزمان شذاها

قلبي سنابلُ

عشقك الأقصى وذِي

روحي وهَبتُ من الحنين صِباها

أفديك

يا وطناً تمسّك بالعُلا

عهدٌ عليّ متَى رجَوتُ اللهَ

كم أدمنَتْ

روحي الطوافَ بعشقها

ما راق لي حين الغرام سواها

يا ضحكة الورد

البهي بعطره

تغدو بقلبٍ عاشقٍ سُقياها

هذي بلادي

للسلام حديقةٌ

سُقيت بمفتون الرياض رباها

قزح

هذي المَدَامِعُ
صُبّها قدَحا
واسكب عليها غَيمتي فرحا

هذي المدائن
كُلّها مُدني
لا تُشْبِهُ العُمْرَ الذي نَزَحا

هذي العُيون
وههنا ثَمِلت
خَضّبْتُ في أحداقها القُزَحا

يَا قِبلةً:

حرفي بها طَرِب

يستعذِب النّـاي الذي صدحا

فاستحضري

عُمْراً يشيـخ هوىً

منه الـغرام على المدى انفضحا

ها أنت

مثل النّخل في لـغتي

وحْيٌ فَهُزّي الجِذْعَ والبَلحا

غيمة الحسن

أزِيحي غَيْمَةَ الحُسْن السّرَابا
ورُدِي عِطْرَ أورَاقِي سَحَابَا

فَمَا زَاد البَيَاضُ سِواكِ حُسْناً
ولا ألِفَتْ مِدَادُكِ ذَا الكِتَابا

صباح القرى

أعِدْ صباحَ القُرى

تلك الوجوه الضّاحكة

خبّئ عَبوسَ العُمر

رتّل نشيد الرُّعاة بصوتٍ يجول

أعِدْ صباحَ القُرى

شالَ الصبايا

(والمِسفَعَ الأصفر)

وعيون الماء تَعبُر في ذهول

أعِدْ صباحَ القُرى

كلّ تباشير الوجوه العابرة

ومولدُ الفَجر في ثوبٍ خميل

أعِدْ صباحَ القُرى

صوتُ الرياح

وبوحُ المِلاح

وصَرير بابِ الرّفاق مع الأصيل

أعِدْ صباحَ القُرى

أطياف مَن رحلوا

أسماء مَن غابوا

كي نستردّ غِيابنا بين الحقول

أعِدْ صباحَ القُرى

ورداً توسّد كَفّينِ

من فَرطِ اليقين

لا يخشى الذُّبول

أول السطر

في أول السطر

نكتب كل التحايا والوله

نرسم في تباشير الوجوه

حقلاً مُمطرا

في أول السطر

نبتل بعض الغمام

وبعض الغناء

آهٍ ما أحلاه

شهداً وسكّرا

في أول السطر

تمخر وجهك الأرض

وتسقيه من خدّيك

ورداً أحمرا

في آخر السطر

تعبر عيناك النجوم

وتُمطرُ كُلّ حينٍ كوثرا

لَستَ وحدَكَ

لا لَستَ وحدك

لَو تُخاصمكَ المآذن

أوْ تناستك المدائن

لست وَحدك

أيُّها الغيمُ المُذاب

أيها العِشقُ السّراب

هاهنا حرفٌ

وبعضٌ من سحاب

لست وحدك

يا رفيقَي والغياب

يا لِهاتيك السّنابلُ

كَم سَقيناها الزُّلال

كم تُرافقنا الظّلال

كانت أناشيداً لهم

كنّا قناديلاً لهم

كانوا كالفراشات

تهتف بالضّياء وبالبَشر

لست وحدك

لست وحدك في ضجر

إني أُقاسمُك الغناء

وهذَا المصير

وكُلّ العَناء

يا رفيقي في سَقرْ

لست وحدك

مَن تُحاصرهُ المآذن

وَالمدَائن والقَدر

أَيُّها السّامرُ

بين المرايا والصّور

هاهنا وجهي

وصوتي

والمساء المُنتظر

لا . . . لست وحدك

غريم الحب

تقول

وقد أزرى العتابُ بقلبِها

أتشركُ آلاءَ الخميلةِ غاويا

فقلت

معاذ الله إني مُوحّدٌ

ولم أكُ

في عُرف المحبةِ عاصيا

ولكنّ قلبي

قد تناسى بلحظة

وكل الذي بِي منذُ لحظتنا بيا

وإن كنتُ

لم أُدرِك حروفك مَرّةً

فإنك من بين الغُصون جماليا

فلا تعذليه

كلما غضّ طرفه

وقد عاد في سربِ الحمائمِ راضيا

وقالت

عذرتُ الآن قلبكَ وانتظر

حروفِيَ تشكو للمساء غرامِيا

وناديتُها

لما تسارع دمعها

أتَنسَينَ خِلاً في المدينة شاكيا

وفي كلِّ فنٍّ

للقصيدة خِلته

يظلّ غريمُ الحبِ ظمآنَ وافيا

وخبّأت

أوجاع الحروف ونارها

وأطعمتُ من ثغر الودادِ قوافيا

فيا قلبُ

إن أضناك وجدُك فاصطبر

تكن حيثما تلقى الفواجعَ راضيا

آيات الوداد

معارضة لقصيدة غريم الحب لأخي الشاعر أحمد آل مجثل

قالت وقد أعيا العتاب جوابيا

وتبعثرت مني الحروف تواليا

أكفرت في قلب تملكه الهوى

أم كنت مثلي في الغرام مواليا

يا قلب أضناك العتاب وناره

حتى غدوت من النوائب شاكيا

هل صغت أوجاع الغرام قصائداً

وتلوت آيات الوداد قوافيا

ناديتها لما تسارع نبضها

وضممتها حتى اكتوت من ناريا

يا ليتني ما خضت يوما في الهوى

ما كان لي في العشق إلا ما بيا

قالت عذرتك فالهوى يا سيدي

قدرٌ وكنا في الغرام سواسيا

الشاعر/هيثم أحمد المخللاتي

ذات مساء

أفِقْ صَاحِبي

دَثّرْ حُرُوفَكَ

واسْكُبْ لنَا وطَنَا

وانْهَضْ الى الغَيْم

فالرَّمْلُ ظَمْآى

تَشْتَهي المُزُنَا

واخْفِضْ جَنَاحَكَ للوَرْدِ

فَمَا يَبْسٌ

يَحِلٌ به إذَا صِرتَ لـهُ سَكَنَا

أفِقْ صَاحِبي واسْكُبْ لنَا وطَنَا

أفِقْ صَاحِبي

زَمّلْ شِرَاعَكَ

هذا الكَوْنُ مَنْزِلتِي

وهَذه الأشوَاقُ تَبْني لـهَا سُفُنَا

إذا أقْبَلَتْ نحوي

تَسَارَعَ خَطْوُهَا

فَأنّى أميلُ تَميلُ

وأنّى أُغَنّي تَلْثُمُ الشّجَنَا

وأنّى أصُدّ

ريَاحَ عَاتيَةٍ تَهِيجُ

وأنّى أُحَـدِّقُ تسبقُ الزَّمَـنَا

أفِقْ صَاحِبي واسْكُبْ لنَا وطَنَا

دَثّرْ حُرُوفَكَ

زَمِّلْ شِرَاعَكَ

أوقِدْ فَضَاءَكَ

واملأْ مِدَادَكَ مِن دَمِي وَطَنَا

وارْسُمْ لنَا حُلُمَا

واخْلَعْ رداءَ اللّيْلِ

كَيْ نشقى بهِ الوَسَنَا

فَهذا اللّيْلُ

كالوَرْدِ نَفْحَتُهُ

إذَا تَنَفَّسَ صبحٌ

أضْحَى لَهُ كَفَنَا

أفِقْ صَاحِبي واسْكُبْ لنا وَطَنا

ذُو قَلْبٍ لا يَنَام

كَأَنَّهُ بالأمْسِ

قَدْ جُنَّ مِنْ وجَعِ الرَّحِيلِ

يَغْتَسِلُ المَاءُ مِنْ عَيْنَيْهِ

ويُبْقِي في مَلامِحِهِ الْجَلَال

كَأَنَّهُ بالأمْسِ

بَعْضٌ مِنْ فَرَاشَاتِ المَسَاء

وصَوْتيَ لَمَّا يَزَلْ في غِنَاء

ووجْهِي يُشْبِهُ المَاءَ الزُّلال

كَأنَّهُ بالأمَس

ما مَرَّ بِي دَرْبُ السَّحَاب
ولا غَنَّت مَلامِحُهُ الجَواب
فَقُل لِي كَيْفَ أسْتَبِقُ المُحَال ؟

مرايا الروح

أخُطُّ في دَربِ القوافل
كُلّ حِينٍ مئذنة

أمرّ كالعرّافِ مُنتَشياً
أُتمتم في دَندَنَة

وأعشق من قَبضَةِ الكَفّ
حرفاً وسَوسنة

وأنْفُثُ في مَرَايَا الرّوحِ
قَلباً ومَسكنَه

أوَّلُ الصَّمْت

أوَّلُ الصَّمْتِ

حِينَ تَغْرَقُ في عَيْنَيْكِ

كُلُّ الحُرُوف وَكُلُّ الأسْئِلَة

وفي كَفَّيْكِ

مِنْ مُقْلَتِيْكِ تَفَاصِيلُ شَاعِر

أوَّلُ الصّمتِ

يَستَبيحُ الغَيمُ

في صَدر السّمَاءِ

تَرَاتِيلاً مِنْ بَياضِ الرُّوح

تَهطِلُ في حُقُول اليَاسَمِينِ

رِضَابُ ثَائِر

أوّل الصّمت

حين يهمي إلى الضفتينِ

العائِدون من الضّحى

كانت صلاةُ إمامهم

تَقاسمَها قبلتان وسُورتان

بين طورٍ وغَافر

أوَّل الصّمت

ترقص خيلُ العفيفات

وراء نهرين من يمامات بابل

تئِنّ بالذّنب المُكبّل

في سِفر الخطيئَات

وترسُم حظّها العاثر

أوَّلُ الصَّمتِ

يَكتُبُنَا في مَرَايَا الإنتِظَار

يَنفُثُ هَذَهِ الرُّوحُ

يَذكُرُ أنَّهَا طِينٌ ومَاء

ثُمَّ يَسألنَا : مَنْ يُسَافِر ؟

همس مشاعر

ولَقدْ رأيتُكِ

في الـغُصُون قَصِيدَةً

يَهْفُو لـهَا الشُّعَرَاءُ مَا أغْرَاكِ

فَمَددْتُ

بَعْضَ مَشَاعِري كَيْ تَرْتَوي

وخَشِيتُ أنْ تَـهْوي فما الْقَاكِ

وثملتُ

من ظلِّ الجفونِ برقةٍ

ثَمِلَتْ جَمِيعُ الكَائِنَاتِ سِوَاكِ

وتَعَانَقَتْ

وجْداً حُرُوفُ مَشَاعِري

وتَنَاثَرَتْ بَيْنَ القَرِيضِ شِفَاكِ

لَوْ كَانَ قَلْبِي

قَبْضَةً أسلمتُها

رُوحَيْ فِدىً وقلتُ فِدَاكِ

غَنَّىْ الحُدَاةُ

بِسِحْرِهَا وجَمَالِهَا

أمَّا أنَا ناديت مَا أحْلاكِ

غيمة الشوق

وحين أنشدتُ

ياغَيمةَ الأشواق جودي

نادى بَهِيُ الحَرفِ

إنّ الغَيمَ أنفَاسي

فقلتُ :

مَن أغراك

في أحدَاقِ مَملكتي؟

قَالت :

أنَامِلُكَ التي

أشعَلتَ في كأسي

حصار

حدّقتُ في وجهَين

مِن تعَب النّهار

وجَهٌ تَلظّى موقِدَ الشّمسِ

ووَجْهٌ من وَقَار

حدّقتُ كالنّهرَين

مِنْ تَعَبِ الخُطى

نَهْرٌ تفنسَ مَوطِنَ الغَيمِ

ونهْرٌ في حِصار

ما زِلتُ مُتّكِئاً ظِلّي

وبَعْضي ليسَ مِنِّي

والصُّبحُ ما بَرِحتْ خُطَاه

يَقْتَاتُني كَيْمَا يَشَاء

لا شَيئَ يرْحَلُ لِلغَدَاة

لا شَيئَ غَيرُ الإنتظِار

فتنةُ البَـوح

جاءت تسائلني :

جاوزتَ سِتّينا ؟

و أنت من أعذب الألحان تُغرينا

وتسكبُ العطرَ

في أرجاء مملكتي

ونعطشُ الحبَّ حتى منك تروينا

لله درُّكَ كم

قاسيتَ من نصَبٍ

يا من بشعرك خضّبتَ البساتينا

تعاظمَ الشعرُ

بين الروح أزمنةً

من فتنة البوح أضحكت الرياحينا

وأطهر الحبّ

في الأرواح آسرةً

بقَطفة الشّيح تحيي روحها فينا

أخفيتُ سرّي

وفي قلبي اشتعالُ جوى

ما أسعد الحبّ إذْ تَلقاك مفتونا

هل يقبل الصّبُّ

نسياناً على وجَل؟

رفيف قلبكَ بالأشواق يُغوينا

تنفّستُ مثلَ

هذا الصّبح ضحكتَها

تنهدّت : تلثُم الأقـداحَ تَسقيـنا

الـعمر قالت:

أيا شادِ الـغرام طوى

يـهوى الـوصال ويُخفي شوقهُ حينا

قَطرٌ من الـوَجد

بالأرواح أسكبُه

فيه المفـاتـن عاد الـعمرُ عشرينا

اللحظة الكبرى

وقل للرّيح :

إن الرّوح ظامئةٌ

سأتلو سورةً للحظةِ الكبرى

وقلبي لم يزل

بين الحقولِ كأنْ

لهُ نغمٌ وألفُ غِوايةٍ أخرى

وهذا الليل

مِن حولي مواويلٌ

أُقلّبُها جَليّاً كيْ أرى الفجرا

أَلَا يا ليلُ

خبّئ موقدَ الذكرَى

لأرسم هذهِ الأجفانَ والثّغرا

إن مسّ جفني عطر فاتنةٍ

وقالتْ: هكذا لا أُحسِنُ العُذرا

حسبتُكَ مثقلاً

بالشيْبِ ذا كلفٍ

وخلتُكَ واعظاً لا تُتقِنُ الشعرا

وقفْتُ

ألُمُّ أشتاتي بكامِلِها

وما بلغتْ بقلبي ذلكَ الصَّبرا

فقلت:

تمهلي يا عطرَ أيامي

فقد أصبحتُ بعد صبابتي تِبرا

وقد أهديتك الأنفاس

من شغف

لـها رُدّي أيا فتّـانـتي الأجرا

وإلا ذقتُ

ذاك الليلَ أوجاعا

وأورثتُ الحروفَ الإثمَ و الوِزرا

فقالتْ :

لَستُ مجبرةً على وهْمٍ

إذا لم تَرْجُ مِن عُسر الـهوى يُسرا

عصفور الكلام

خضّبتُ قافيتين

من عطر المساء وسوسنه

ورويتُ حقلين

في سِفْر الغرام ومسكنه

ناديتُ

يا كُلّ الرّفاق هنا

حرفي تدثّر موطنه

ما مَلّ

عصفورُ الكلام ولا

مَلّتْ أصابعُه دوزنه

رفقاً

مساءَ الرّيح رفقاً

كفيّ تمايل دندنه

رفاق الصباح

مُسَافِرٌ

صَوبَ غيمتها البِكر

أزُفُّ رِفَاقَ الصُّبحِ

وظِلِّي

من عَصَافيرِ الضُحى

فأغزل منها خُيوطاً لا تلين

مُسَافِرٌ

بَينَ أورِدَتي

يَقِينُ الأَنبِيَاءِ

وسِفْرٌ من صَلاةِ العَاشِقين

شَغَافُ الرّوحِ

في وِطَنٍ تَخَضّبَ مِثلَنا

شِيحاً ومَاءً

لوزاً وتِين

مُسَافِرٌ

بعضي هُناكَ

في غِيابٍ لا يَعُود

قَلبي المرايا في حُقولِ اليَاسَمِين

مُسَافِرٌ

أنت المَوَاسم حين تطلبك القُرَى

لَيْسَ يُغْرِيني سواكِ

غَيْمَةٌ حبْلَى وَيَتْبَعُهَا الحنين

علّميني

علميني
لغةَ الرّمل
كيف تكتبني
وكيف أرسمها
من فُتات الأنين

علّميني
صوتَ هذي الريحّ
كيف تغتال القُرى
ويموت في أحضانها
صوتُ الحنينِ

علّميني

بيعةَ الأرض للأرض

أقرئيني طينها

سَجّلي في تابوتها

أن مجدَ الحُفاة

بَعض حِنّاءٍ وطين

علّميني

كيف أغدو

مثلَ رملٍ وطين

علّميني

حين تُلقي الأرضُ ظلّها

كيف أرميها إليك

كيف يُحييها الحصاد

وتضُمني يومَ الوداع

علّميني

أن في أرواحنا

مِن يقين الغيب

وطناً لا يُباع

وجع الروح

لا . . لم يَنَمْ حرفي
وعيني لم تنم
أغمضتُ جَفْنَين
وبقيتُ نِصفين
مِن حَرفٍ وفَم
لا لم أنم

خَبّأت في جَوف المساءِ مواجعي
ومَحَوتُ أَسماءَ الرِّفاق
ومَضيتُ بين الماء والماء
لا شَيئَ يَكتُبني سواهُ
وبَقِيتّ نِصفَين
يَقتَاتُني حَرفٌ وفَم
لا لم أَنَم

عَلّ ورُبَّما

ويَموتُ

بينَ شِفاهِنا من عشقنا

وَلَـهٌ يحاكي الوَجنتَين مِن الظّما

وتنامُ

في أوجاعِنا بجراحنا

لُغةٌ لعلّ المُتعَبينَ وربّما

وأكونُ

يومَ رواحِنا في شوقنا

قَمحاً توضّأ دِيمةً وتَيمَّما

وتَعودُ

عند حصادِنا ضحكاتنا

عِطراً تَنفّسَ زهرهُ أوهَمْهما

وأصوغ

حين غنائنا ببواحنا

لحناً تخَضَّبَ رِقّةً وتبسّما

وتتيه

في آفاقنا تنهيدة

فتسابق الغيث الضحوك إذا همى

تمضي

بنا الأرواح تولد شهقةٌ

تلقى الذي تحت الرماد تفحما

ناي

سأظلُّ أرسمُ

كلّ حينٍ مَوسِماً

ويقيني أنّ بابَ الحيّ

أقفل مَوسِمَه

سأظلُّ أقطفُ

من بقايا الغيم ديمةً

وأبيتُ مسكوناً

بنايٍ ودندنة

عَيناه

من تَعب الرّحيل

الى الرّحيل مَنازلٌ

يَقتاتُها

بين القِفارِ وموطنَه

عَيناه

مَن تَمْخُر الماءَ بالماءِ

كي تَستَردّ السماءُ

بياضَها

وتبيتُ فيها سَوسنة

عَيناه كالرّيح

تعبُرُ بين المدائنِ

تَسكُبُ في روحين

عطراً وصوتاً من وَلَه

مسغبة

وهُنَاكَ

قِدّيسَةٌ في مَرايَا الغَيب

تَمخُرُ أسرَارِها

في شَهقة الروح

تَمضَغُ بَعض الفُتَاتِ

وتَشرَبُ من رِضابِ العُمرِ

طُهرَ النّشيدِ

وتُسقِي مَاتَبقى

مِن هَفيفِ الرِّيح

مَسغَبَةَ الشّغَاف

كان المساء

كالظّل في وضح النهار

يضم جناحيه

في قِبلتين من اليقين

وتضيع في مِرآته

كلٌ الوجوه الساقطة

ما زلتُ مُتّكِئاً ظلّي

وصوتي كعصافير الضّحى

وبقايا من مساءٍ مُنتظر

خشاش الأرض

تَناءى بين وَردَين

مِن فَاتنتين قَوسان

مِن لُغة الشّفَاهِ القَاتِلة

عَينَان

مِن لُجَّةِ الماء المُبَعثَر

في قِبلتين

مِنَ البَحرِ لِلبَحرِ الكلام

ومَدِّي لَم يَزَل آجِله

كَفَّانِ يَقتَسمان

قَلباً من خَشاشِ الأَرضِ

وبَعضاً مِن رياحِينِ البِلاد

كَفَّانِ يَعتَصِرانِ أنَامِلَه

والشُّاطِئُ المَنْسيّ

في مُقلَتَين

مِن السَّرابِ إلى السَّرابِ

لَم يَنَم لَم يَمُت

لَمْ يَزَلْ

رَهْنَ الغِيَابِ وسَائله

ذكريات

ليس المكان هنا

للرّعد والبرق والأحجيات

ليس الرفاق هنا

للمدح والقدح والأغنيات

ليس الزّمان هنا

للرّيح تعبث بالأمنيات

هذا الزمان هنا

للعُمْر نقرأ فيه الذكريات

فراشة الحي

مُذ لاحَ وجهكِ
والماءُ من حولي قرابيناً يُبلّلها
لون الرياح
وسحرُ الأمكنة

مُذ غاب عطرُكِ من مِعطفي
لم يكترثْ وردٌ
وصوتي أسكُنه

مُذ فرَّ من قلبي الضياء وخافقي
متأزمُ متألمٌ
مُتبتّلٌ بالأزمنة

مئذنة

مُذ خانَ الرفاق نشيدهم
وأناملي
مشدوهة كالمئذنة

مُذ مرّ قلبي من هنا
والطين مرآة القرى
وقطوفها بالعنعنة

مُذ أوقد الليلَ
قنديلُ الشتاء مُزمجراً
وفراشةُ الحيّ
تُنشدُ ما أحسنه

لصوص الكلام

هم يسرقون الماء

من أرواحنا

وبقيةٌ من رملهم تَقتاتُنا

هم يسرقون شِفاهنا

هم يشترون جراحنا

ويقدمون يَبابنا وسرابنا

لا يحفظون دماءنا

لا يكتبونَ حروفنا

هم يرقصون

على أوجاعنا

هم يسرقونَ الشمسَ

من أحداقنا

ونبيتّ مُذ فجر الصباح

بلا صباح

عُدْ أيُّها الفلاّح

للحقل المُغطّى بالكفاح

عُدْ أيُّها الفلاّح

واقرأ تعاويذ الكلام المباح

عُدْ للعصافير وللمِلاح

عُدْ مَرّةً للرّيح

واملأ غناءك بالنُّواح

ديمة

في جرابي مَسحةٌ

من غُبار الأمكنة

ورفاقي بعضُ أشلاء القُرى

لم ينم جَفْني

وصوتي يَحتضر

أيها العابرُ ضِفّتين تَعالَ

نَقسِم الماءَ

في مُقلتَين ونَغدو

ديمةً من تراتيلٍ ومطر

مَن دلّلك

يا وَردُ
مَن أسكَرك
مَن جَمّلك غيرُ شِفاهنا
مَن علّمك
صِدق الجَنان ومعنى الغَرام
غيرُ حروفنا
مَن أودَعك
سِرّ العيونِ وبوحَ الجُفون
غيرُ عُيوننا

مَن دربّك
لغةَ الخَجل مَن عطّرَك
مَن ظلّلَك
غير قلوبنا
يا وردُ
مَن دَلّلَك؟

بقايا

كَانَ بعضُ الرّملِ

يَنفُثُ أقدَامَ السّاقِطِينَ

وَيمحُو رَسمَ أسمَاء الصحاب

كَانَ يُشبهُ نَخلَ بَابل

كان بعضُ الرّمل يَرسُمُ

كَيْف تجفوه البلابل

كَيْفَ تأوينا السّنَابلُ

كيف نَقرَأُ فَاتحةَ الكلام

لبَقَايا مِن قلوبٍ لا تموت

غرباء

هنا
في موقد الجمر
من رماد الليل
وخيطٌ من شال أمي
وبقايا من أناشيد المساء

وهناك
في مهبط الشمس
يبسط وجهُ قريتنا غراسه
يشتهي من سنابلها السَمر
قَمحاً وشيحاً وارتواء
وبقايا قطفةٍ من أسارير الوجوه
يُبلّلها الصُّبحُ سلاماً ونمضي غُرباء

رحيق

عَذْبَةٌ
كَفُرَاتٍ مِنْ أعَالي الرُّوحِ
لِلْقَلْبِ المُسَجَّى
في حَنَايَا الصَّدْرِ
وبَيْنَ الصحاف

عَذْبَةٌ
كَرَحِيقٍ مِنْ شِفَاهِ الوَرْدِ
لِلْصَّبِّ المُدَثَّرِ
في بَقَايَا العُمْرِ
وثَوْبِ الزَّفَاف

هذا المساء

أسافر صوب المدى
تشد وثاق الصبر
غيماتي بلا أرق

فيرحل صوت الناي
في لغتي
وتلثم طهر النبوءات في الطرق

أسافر صوتا
لا توشوشه
ريحُ الفضاءات
وهذي الروح في ألق

وبين جوانحي

خفق لغيمتها

يشاطر لحنَ المساءات

من عبق

فأُلقي بعضَ لحني

حين ألقاها

وتسكب ذاك اللحن في الأفق

زَمّليني

أوقد الحرف رفيقي

تستفيق الذاكرة

واملأ الآفاق شدواً

بالأغاني الساحرة

موسم الوجد قديمٌ

كالنجوم الساهرة

كلما زاد اشتعالا

قُدَّ رُوحاً طاهرة

ها أنا نبضٌ و قلبٌ

من عيونٍ سافرة

ها أنا من بعض موجٍ

والبحور الزاخرة

إيه يا كل الشواطئ

وجه روحي صابرة

زمّليني بعض رملي

تحتويها الذاكرة

قلبٌ من خزف

نامت بعيني وحشةٌ

من غيابِ الرٌوحِ للرّوحِ

ونَزيفُها

لم يَكترِث لم يَعتَرِف

أن العيونَ مَدَائنٌ في سرِّها

في دمعها

في لذّة البَوحِ المُختَلف

نَامت بِعَينِيَ وحشَةٌ

لا تُشبهُ التّأويلَ يومَ حَصَاده

أو تُشبهُ التّنجيمَ كَفّاً بِكَف

ما زلت متكئاً صمتي

وَلَيْلُ الرِّيحِ يَتبَعُني

يَقسِمُني بَينَ ذَاتٍ وَذَات

هُنَا بَعضي يُجَادِلُني وهُناكَ

صَوتٌ يَرتَجِف

نَامَت بِعَينيَ دَمعَةٌ حَرّى

وقَلبي مِن خَزَف

غناء المطر

كَانَ صَوْتُ الحَنَاجِرِ
يُشْبهُ زَخَّاتِ المَطَرْ
تَرْتَوي الأرْضُ لِحُونَهَا
فَتَفِيْضُ بالوَجْدِ
وَبِالغِنَاءْ وَبالشَّجَرْ

كَانَ صَوْتُ الحَنَاجِرِ
حِيْنَ يَخْذِلُنَا الرِّفَاقُ
يَبْسُطُ شَاطِئَيْهِ لَنَا
فَنَغْدُو رِمَالاً
تُبَعْثِرُهَا الرِّيَاحُ
وَنَكْتُبُ فِي وَصَايَانَا
كَانَتِ الرِّيْحُ
وَكَانَ القَدَرْ

كَانَ صَوْتُ الحَنَاجِرِ
يَشْدُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيْقِ
وَيحْدُو كَيْ تُسَابِقَنَا
القَوَافِل
وَنَغْدُو بَعْدَ كُرْبَتِهِ في سَمَرْ

كَانَ صَوْتُ الحَنَاجِرِ
قَافِيَةَ الكَلَامِ
وَنَوْحَ الحَمَامِ
وَنَبْضَ الحُرُوفِ
وَ قِيْثَارَتِي وَالوَتَرْ

كَانَ صَوْتُ الحَنَاجِرِ
يُشْبِهُ صَوْتِي إِنَّمَا
كَانَ صَوْتِي صَرْخَةً
لَيْسَ يُشْبِهُهَا البشر

اطفئ القنديل

مُدٌّ هذا اللّيل

لي حينا ولك

بين كفّيّ ورقّق أُنمُلَك

كلّما طيفُك

غشى أحرفي

قلتُ لله الهوى ما أجملَك

لا تقُل لي

زدتَ عندي لوعتي

حين أيقظت بقلبي ما هَلَك

دثِّر الحبَّ

بروحي وارتقب

دمعَ خدّيَ بعطري بَلّلَك

لا تقُل صبرًا

وعمري معك

بِتَّ مُشتاقاً وقَلبي في فلك

ها أنا مثلك

أغدو ولَها

عدتُ يا قلبُ عشقا منكَ لك

مَسَّ جفنيّ

بهمسٍ ومَضى

قلت هيهاتَ وأنّى خذلَك

لم يغبْ صوتك

عنّي برهةً

أَطْفِئ القنديلَ إني هيتُ لك

جنون الشعر

أشعلتُ

في الليلةِ الظلماءِ مشكاتي

في الخافقينِ وسرّي في نبوءاتي

أنشَدتُ

شعريَ من بوحٍ ومن وَلهٍ

والروح تعزِف بحرَ الشّوق مرساتي

فكيف

أخفي جنونَ الشعرِ يا حُلُمي

كلّ القصائدِ تُروى من صباحاتي

قصيدتي

لا تجافي سرَّ ملهمتي

والشّعرُ في بوحها يحلو بمرآتي

ناغَيت

طيراً وفي حرفي أهدهدُهُ

لقيت فيه تراتيل السّماوات

للحرفِ

في مهجتي عشقٌ أرتّلُهُ

هي القصيدةُ تروي لي حكاياتي

فمَن

سيحصيَ ما في البحرِ من دُررٍ

والرّمل تحفظ كم فاضت سحاباتي

قراءة في ديوان عَلّ وربّما

للشاعر / أحمد آل مجثل

يشعر المبدع الحقيقي بالتفرد في مجتمعه وبالوحشة وسط الزحام، وتتجلى شخصيته في نصوصه الإبداعية حيث يحاول أن يتكيف مع من حوله، رغم أنهم لا يرون مواقع ألمه ولا مواطن رضاه، هذا بالنسبة للاتجاه النفسي الذي يلف نفس الشاعر المبدع.

أما من ناحية الأداة التي يستخدمها الشاعر في إبداع نصه وتقديمه للمتلقي فهي اللغة، ولغة الشعر كما رأى السابقون أمثال ابن جني وعبدالقاهر وابن سنان الأندلسي هي لغة العدول وهو ذات المصطلح الذي أسماه دوسوسير وترجمه العرب أمثال صلاح فضل وسعيد يقطين وحميد لحمداني وغيرهم تحت اسم الانحراف اللغوي أو الانزياح، وجميع المصطلحات من وجهة نظري صحيحة، ويقصد بها الانتقال من اللغة المتفق عليها إلى لغة جمالية جديدة، تترك المتواطئ عليه لتنتج فكرة جديدة، ويأتي هذا التجديد من خلال فكر قديم مثل الحذف والتقديم والتأخير ومشهور جدا حذف الاسم أو الفعل أو الحرف أو الضمير وعلى سبيل المثال ما جاء في سورة الفرقان (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً)، فمحذوف وإذا رأوك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ويقولون أهذا الذي بعثه الله رسولا لنا.

فالمحذوف (الذين كفروا يقولون والضمير في بعثه وضمير التكلم لنا)، والحذف نوع من الإيجاز، حيث نحذف ما يفهمه المتلقي ولا حاجة لنا بذكره، فحينما نقول محمد جالس وليس واقفا، فالجملة الثانية لا حاجة للمتلقي لها فيكفي محمد جالس والحذف يقع في معظم لغات العالم، ولكن لغتنا العربية أشهر اللغات في الحذف باعتباره نوعا بلاغيا يؤدي إلى أبواب كثيرة مثل الاحتباك البلاغي وعلى سبيل المثال ما جاء في سورة آل عمران (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ)، ونفهم منطوقَ الآية :

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان.

فالمحذوف (مؤمنة، سبيل الشيطان) فهمنا كلمة مؤمنة من كلمة كافرة وفهمنا سبيل الشيطان من سبيل الله، والمحذوف متفق عليه فمن قاتل في سبيل الله فهو مؤمن، ومن كفر قاتل في سبيل الشيطان، كذلك جمال ذكر الكلام وقبح المحذوف، بالإضافة إلى ذكر الفطري في النفس والطارئ عليها، فالسير في سبيل الله فطري، والسير في سبيل الشيطان هوى يطرأ على النفس.

ومن فكر جديد من التصوير والخيال، فمثال الفكر القديم حينما أقول (زيد شجاع) هذه لغة متواطئ عليها، بينما إن قلت (زيد أسد) فقد عدلت باللغة وانحرفت عنها وقمت بالإزاحة، حيث سيتصور القارئ أن صفات الأسد قد انتقلت إلى صفات زيد، والحق أنني أقصد المبالغة في الشجاعة.

أما الانزياح الجديد في الصورة فيمكن أن نراه في قصيدة من الديوان المقصود بالقراءة (علَّ وربَّما) حينما يقول شاعر الجزيرة / أحمد آل مجثل الغامدي

كان المساء

كالظّل في وضح النهار

يضم جناحيه

في قِبلتين من اليقين
وتضيع في مِرآته
كلُّ الوجوه الساقطة
ما زلتُ مُتّكِئاً ظلّي
وصوتي كعصافير الضّحى
وبقايا من مساءٍ مُنتظر

***

فهنا صورة طريفة لم يستخدمها شاعر عربي قبله، حيث يشبه الكل بجزء، فالمساء كل زمني ومكاني بينما ظل الضحى جزء زماني ومكاني ، وظل الضحى طائر يقوم بضم جناحيه في قِبلتين موجودتين في مكان اليقين وزمان اليقين، وذات المساء يبدو جميعه مرآة تظهر كل شيء لكنها لا تظهر وجوها ساقطة.

فقدرة الشاعر التصويرية جعلته يقف في منتصف الدائرة تماما ؛ بحيث يصبح بؤرة ترسل الضياء على داخل الأنا وجميع العالم المحيط بها، فتبرز هذه الأنا في انفصالها / اتصالها بالعالم من حوله، (فالعالم مساءٌ وقِبلتان ومرآةٌ وظل ضحى ووجوهٌ ساقطة، بينما الأنا تتكئ على ظل وتهمهم بصوت العصافير في الضحى وتنتظر المساء).

براعة ليست فوقها براعة في التصوير، فمن يرى الأنا متصلة بالعالم فهي في المساء والضحى، ومنفصلة عنه في ذات الوقت لأن لها صوت العصافير بينما العالم ينحصر في الوجوه الساقطة.

- هذا التصور السريالي لشكل العالم ووجود الأنا فيه جعل الصورة الشعرية تشتمل على حالتين متناقضتين تماماً:

الحالة الأولى :

هي حالة وضوح الصورة للأنا الذي لا يجد متكأ فيتكئ على ظله، ويفرق بين صوته وأصوات من حوله فيضع صوته في ألحان العصافير بعيدا عن جوقة الأصوات المنكرة.

والحالة الثانية :

هي حالة غموض التصوير ، فكيف يرسم فنان صورة المساء يشبه ظل الضحى ، وما شكل تلك الوجوه الساقطة التي لاتظهر في مرآة المساء ؟.

وهذا ذاته هو خطأ النقد العربي الذي يهتم بترتيب وتركيب اللغة ، ولا يهتم بربط اللغة بمدلولها الاجتماعي والنفسي ، مما جعل معظم دروس النقد العربي دروسا لغوية ، لا علاقة لها بالنص الإبداعي ، فالكلمة باعتبارها الدال فإنها تستدعي لها مدلولا من الواقع ، يرتبط بالواقع أكثر من ارتباطه باللغوي .

بمعنى حينما أقول كلمة شجرة فهي تتكون من مجموعة الأصوات (شين وجيم وراء وتاء مربوطة) ، هذه الأصوات لا ترتبط بما تدل عليه بأي شكل من الأشكال ، وهذا ما أسماه دوسوسير بالعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول في اللغة ، فنطق كلمة شجرة لا ترتبط بوجود الشجرة في الواقع ، وقد سبقه عبدالقاهر بقرون عدة ، بيد أن (زامر الحي لايطرب) ، فقد قال عبدالقاهر الجرجاني في كتابه الأشهر (دلائل الإعجاز) : (لو أن واضع اللغة قال ربض بدلا من ضرب كنا سوف نستخدمها بنفس معنى ضرب) ، وهذا كشف عربي قديم استفاد منه الغرب فوافقنا وجعل من له قلب شهيد وعقل رشيد يعود إلى فكرنا العربي مرة أخرى .

فاللغة كأداة للإبداع الأدبي والفني دال يقدم الصورة الذهنية للمدلول على الرغم من العلاقة الاعتباطية بينهما على حد تعبير سوسير ، ولذلك حينما نعالج النص من منظور لغوي فإننا نحلل من منظور اعتباطي ، حيث إننا سوف نقدم درسا في اللغة ، وليس درسا في النقد ، وسيكون تحليل الدال منقطعا عن المدلول ، فإذا لم يرسل الدال صورة ذهنية تشي بحداثة المدلول فلن تكون الكلمة شعرية بالمرة .

وحينما يقول شاعر الجزيرة / أحمد آل مجثل :

خَبّأت في جَوف المساءِ مواجعي
ومَحَوتُ أسماءَ الرِّفاق
ومَضيتُ بين الماءِ والماء
لا شَيءَ يَكتُبني سواهُ
وبَقِيتّ نِصفَين
يَقتَاتُني حَرفٌ وفَم
لا لم أنم

***

فكلمة خبأتُ متفق عليها بمعنى (أخفيت وأضمرت وطمست وغطيت وادخرت وكتمت وطويت ووو)، وتأتي بعدها كلمة في جوف وتعني (في داخل وفي بطن وفي طي وفي ضمن)، خبأت في جوف كلمات متفق عليها لكنها لا تعطي معنى مفيدا ولا جمالا مقصودا، فحينما تدخل هذه الكلمات على كلمتين هما المساء ومواجعي فيقول (خبأت في جوف المساء مواجعي) فعلى القارئ صاحب الفكر والشعر أن يصاب بصدمة الدهشة، يا هذا إن الخبيئة غير صالحة للاختباء، والمكان والزمان غير صالحين لحفظ الخبيئة، فكيف اخترعت فضاء شعريا يمكننا أن نتقبله بدهشة النائم الآمن الذي استيقظ على حرائق في العطور، نعم حرائق عطر، فتحولت الكلمة الثنائية سردا إلى كلمة مترامية الأطراف شعرا ومتعددة الأبعاد تصويرا.

والشاعر ذاته انتبه للصدمة التي أحدثها في القارئ في السطر الأول، فعاد من قمة سمائه الشعرية إلى أرض الناس ليخبرهم خبرا عاديا جدا (محوت أسماء الرفاق)، ثم يشير إشارة رمزية للوطن المحلي والوطن العالمي، فالأرض من الماء إلى الماء تشير إلى وطننا العربي من ماء المحيط الأطلسي إلى ماء الخليج العربي، والأرض من الماء إلى الماء تشير من ماء المحيط الهادي في الشرق إلى ماء المحيط الهادي في الغرب، وكذا الشمال والجنوب، فمن الماء إلى الماء إشارة للعربي والعالمي، ثم يعود الشاعر ليأخذ القارئ إلى

سماء الشعر مرة أخرى، قلت في البداية أن الشاعر / أحمد آل مجثل يجيد الوقوف في المنتصف تماما، المنتصف بين الواقع والخيال، وبين الأنا والعالم، وبين سماء الشعر وأرض الواقع، وهذا يعني أنه يدرك ما بداخله ويراه، كما يرى العالم من حوله ويدركه.

فهو أصبح نصفين، النصف في الحرف والآخر في الفم، كيف يمكن لأي فنان في العالم أن يرسم هذه الصورة، هنا يفرق الشاعر بين الكلمة الشعرية حينما يصنع منها صورة ذهنية، وبين كاميرا التصوير حينما تلتقط بها صورة مرئية، فصورة الكاميرا لها واقع تستند عليه، بينما الصورة الشعرية إذا استندت إلى تراث لها وتولدت عنه ستكون صورة مولدة، وربما تصل إلى حد الاتهام.

لكن آل مجثل يستحدث صورة ليست موجودة في الواقع ولا تستند إلى تراث فكري أو أدبي، لكنها مخترعة وتقاس براعة الاختراع في الشعر بأن تكون قابلة أن تمتزج بالواقع، هذا يعني أن شاعرا ما حينما يكون موهوبا، فإن موهبته تمكنه من الاختراع في الشعر حتى لا يظن القوم أن المخترعات وقفٌ على العلوم الطبيعية، بل مرّ علينا كثير من المخترعات في علوم اللغة، وحسبي أن أذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي ومخترعاته المتعددة، وعبدالقاهر الجرجاني وأبا الأسود الدؤلي وغيرهم، إلى جانب الموشحات الأندلسية وما استجد على الشعر العربي من موسيقا وفنون لم تكن في الماضي.

أصيب مجتمعنا العربي باصابتين بالغتي التأثير، الأولى : عدم البناء على ذخيرته من التراث النقدي، فلم يبن النقاد في العصر الحديث على قواعد الجرجاني وابن طباطبا العلوي والجمحي والقرطاجني وابن جني وحتى طه حسين.

والثانية : وقوع النقاد الجدد في مصيدة النقد الغربي وتعاطيهم للنظريات المعلبة تنظيرا وتطبيقا دون النظر لتراثنا العربي، أو واقعنا الحالي، مما صرف العامة عن الآداب المقروءة، وحوَّل وظيفة الأدب إلى التسلية بدلا من الكشف والمراقبة والتوجيه.

وكانت التفسيرات الغربية للشعر بشكل خاص كلها منصبة على التفسيرات اللغوية والبنية الشكلية للنص الشعري، كما هو الأمر عند جاكبسون وتودوروف وجنيت وبارت وغيرهم، ولم يكسر القاعدة سوى ميخائيل باختين، حينما ربط بين لغة الشعر وبين (أنا) الشاعر و (العالم) من حوله، وهو ما ذهب إليه بعده الناقد الأمريكي لوسيان جولدمان حينما رأى أن موهبة الشاعر هي تلك الشبكة المعقدة التي يصطاد بها الشاعر روح هذا الكون.

إن فصل الشعر عن المجتمع الذي أنجبه يشبه كثيرا فصل الابن عن بيت والده ليمتهن مهنة أخرى غير مهنة والده، نعم الشعر ابن شرعي لشاعر اجتماعي وظيفته أن يُكسبَ مجتمعه توجها جديدا أصوب من التوجه الموجود في المجتمع، وهذا التوجه يصل إلى المتلقي من خلال تقنيات عناصر التشكيل الشعري التي تكون شبكة من العلاقات الداخلية المعقدة بين المفردات، والعلاقات الخارجية من الواقع الاجتماعي وكيف ارتبطت به الكلمة الشعرية، فالشعر مولود اجتماعي، وحينما تخرج القصيدة للمتلقي صوتا ورسما، تصبح ذاتا اجتماعية لها حقوق وعليها واجبات، ولها صفات اجتماعية ونفسية تشبه إلى حد كبير صفات الشاعر الذي أبدعها، نعم هو ذات الشبه بين الوالد وابنه، وذات الاختلاف بينهما وذات المحددات التي تجعل كل شخص قريب أو بعيد له صفات نفسية وبدنية واجتماعية يتميز بها عن الشخص الآخر.

تطور الخطاب الشعري
في شعر أحمد آل مجثل

لقد سيطر الهجامة على معظم المنابر الشعرية في وطننا العربي، وحجبوا قناديله ودره عن عيون العامة، وماكان الوطن العربي في حاجة للشعر عبر تاريخه الطويل كما هو حاله الآن، فالمواطن العربي يحتاج الشعر في الوقت الحالي أكثر من حاجته للطعام والشراب، حيث إن الشعر هو الميزان الحقيقي لاتزان الشعور والوجدان،

فحينما يصلح حال الشعر لن نجد أغنية ضارة بالذوق، ولن نسمع كلمة خادشة للحياء، ولن يثور جدال بين متجادلين ترى كيف كان يعيش العربي حينما يسمع حسان مادحا للرسول، ويسمع ابن أبي ربيعة يتغزل مازحا وضاحكا، ويسمع جميل بن معمر يتغزل ملتاعا ومشتاقا، ويسمع المتنبي مفاخرا بعلو همة.

إن الشعر البليغ، حالة من حالات التسامي حيث تتحول المفردات الصلبة إلى حالة من حالات النشوة الغازية دون المرور بالحالة السائلة للمفردة.

والخطاب في أبسط تعريف عالمي له هو طريقة التقديم، فالخطاب السياسي طريقة تقديم معلومات سياسية، والخطاب الديني طريقة عرض الدين بصورة مفهومة، والخطاب الإشهاري طريقة عرض السلعة ووصفها للمشتري، والخطاب الشعري طريقة تقديم الشعر للمتلقي.

وقد أخذت كلمة الخطاب في لغتنا العربية معناها من استخدامها اللغوي المتعارف عليه، فيرى ابن منظور في تعريف الخطاب مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام فهما يتخاطبان.

وقريبا منه ماجاء به الكفوي في معجم الكليات حينما عرّف الخطاب بقوله (الكلام الذي يقصد به الإفهام)، فمن شرط الخطاب أن يكون مفهوما.

فالخطاب الشعري يكون متواليات شعرية صادرة من مرسل. (الشاعر) إلى مستقبل (السامع / القارئ)

فالخطاب الشعري = شاعر + شعر + قارئ/ سامع

والشعر = نثر + موسيقا، فإذا أردنا استطراد المعادلة

الخطاب الشعري = شاعر+ نثر + موسيقا + قارئ/ سامع

وللشعرية تعريفات قديمة من ابن طباطبا العلوي وقدامة بن جعفر ومن بعدهما الجرجاني والقرطاجني وغيرهم، ومعظمهم يقول عن الشعر أنه الكلام الموزون المقفى المفهوم، ما عدا الجرجاني الذي أضاف لهم أن يكون الشعر مؤثرا في نفس سامعه.

وجاءت التعريفات الجديدة للشعرية على يد أدونيس ونازك الملائكة والحق أن تعريف أدونيس للشعر لايمت للشعر بصلة رغم شهرة هذا التعريف واندفاع بعض أساتذة الجامعات خلف التعريف تفسيرا وتنظيرا، مما جعل النقد الأدبي لازال غرّا لا يملك مقومات الحكم على القالات، بل يأخذ الكلمات المرتبطة بأشخاص معروفين أو أصابتهم دولهم ومكنتهم بشهرة لا ترتبط بواقع الإبداع، يقول أدونيس في تعريف الشعرية (الشعر رؤيا والرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفاهيم القائمة)، وهذا القول ينطبق على السباكة والسياسة والتجارة وكل العلوم والفنون.

فأزعم أن النقد العربي الحديث لم يقدم شيئا سوى ما قدمه عميد الأدب والثقافة العربية الدكتور طه حسين، وغنيمي هلال وياسين المقدسي الفلسطيني ومحمد مندور وأخيرا عبدالمنعم تليمة.

ويظل النقد العربي من المحيط للخليج مرهونا بمجموعة من المعلبات النقدية الغربية التي لاتصلح أن تقدم شيئا لأدبنا العربي إلا كما تقدم إسرائيل للشعب الفلسطيني.

فالخطاب الشعري العربي القديم لم ينتبه لعميد الفكر العربي القديم أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، الذي عرف الشعر بأنه القول البليغ المؤثر، والذي يستخدم فيه كاتبه البيان والدلالة، فيقول الجاحظ :-

(على قدر وضوح الدّلالة وصواب الإشارة، وحُسن الاختصار، ودقّة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكُلّما كانت الدّلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع).

وقد اعتمد الخطاب الشعري العربي القديم على الغنائية في الموسيقا والدلالة والتشكيل، وعلى رصد الحياة بتمزقها وتعدد موضوعاتها في النص الشعري، فكانت المتواليات اللغوية في القصيدة تتحدث عن موضوعات متعددة وربما متناقضة، فلا رابط

بينها سوى الموسيقا المتواترة أو موسيقا الروي والقافية أو موسيقا الحروف والتقابلات.

وقد وقعت عيني على شعر من لم أره ولم أعرفه إلا من خطابه الشعري، وهو شاعر الجزيرة / أحمد آل مجثل الغامدي السعودي تعرفت على شعره منذ سنوات قصيرة لا تتجاوز أصابع اليد، وحاولت مرارا أن أفتش في سطوره لتميزها عما يدور في ساحة ما نطلق عليه مشهد الشعر العربي الحاضر، فالنصوص بها تمكن من استخدام الأدوات، ولا تستطيع الأدوات أن تقيم فناً شعريا سوى على أرض شعرية هي الموهبة، فالموهبة أرض الشعر التي يمكننا أن نؤسس عليها نصا، والذين يؤسسون نصوصا على غير موهبة فهم يقيمون قصرا من الوهم، فمن سمع كأنه لم يسمع، ومن رأى كأنه لم ير، كمن يستقبل الريح وهو مختبئ في استوديو عازل للصوت، وهذا مايحدث حينما نسمع كلاما موزونا يظن كاتبه أنه شعر، فإذا ماقال فرح من هم على شاكلتي حينما يصمت، وصفقوا لصمته لا لكلامه.

يقول الشاعر / أحمد آل مجثل في قصيدة له بعنوان (مَصارع العُشّـاق)

***

طربَ الفـؤاد بلهفة المشتـاق
وتذكرت بَعضُ الحروف رفاقي
وتسارعت نحو القَريض أناملي
كي تكتسي أبيـاتـها أوراقي
وتجـمّلت ورداً وبعض جِـنانها
ظمأى تبيـتُ فهـاكـمُ أَحـداقي
يا حـضرةَ الأحباب إني عاشق
مثل السنابل نبضها أشــواقي
يا أعذب النّغـمات في قاموسها
ردّوا إليّ مصـارع العُــشاق

ردّوا إلى قـــلب المُتيّم روحه
وتـأملوا عـــند البُعـاد فراقي
ما كنت أحسب أنّ مَن أحببتهم
يوماً تضـيق بحـالهم آفــاقي
فلطالما أسرجت ليل همومهم
ورتـقت من بعد الوصـال فتاقي
ولطالما أبكت حُروفُ قصائدي
بعض العيون فزادها إشفاقي
لو كان قلبي جُنّةً لوهـــبتها
دمعي وإن ضنّوا عليّ رفاقي

***

ولقد ذكرتني القصيدة بقصيدة حافظ إبراهيم التي قال فيها

كم ذا يكابد عـاشـــق ويلاقي
في حب مصر كثيرة العـــشاقِ
إني لأحملُ في هواك صـــبابةً
يامصر قد خرجت عن الأطواقِ

حافظ إبراهيم من أوائل الذين حاولوا أن يعيدوا الشعر العربي لمكانته القديمة في العصر العباسي أزهى عصور الشعر العربي القديم، ولذا فهو يعود بالشعرية العربية إلى واقعها القديم، بينما أحمد آل مجثل يخترع واقعا جديدا للشعرية العربية من خلال محاولاته أن يجعل الشعرية العربية بخصوصية عربية وصفات وصور إنسانية، فإذا ترجمنا قصيدة حافظ إبراهيم للغة غير العربية فلن يهتم أو يطرب لها أحد، بينما إذا ترجمنا قصيدة أحمد آل مجثل للغة أخرى حتى لو كانت اللغة الصينية فسوف يجد فيها القارئ فهما للحياة، ليست لحياة العربي فقط، بل لحياة الإنسان عامة على الكرة الأرضية، وهذا الوعي في نص آل مجثل يرتبط بحياتنا التي اختلفت عن حياة حافظ إبراهيم فلم تعد هناك فكرة خاصة بوطن، ولا ثقافة

خالصة لمجتمع، بل ربما أنتهي من صلاتي وقيامي لأقرأ ما دار في العالم كل من حولي حيث أصبح العالم كله محدداً بمساحة ٦ بوصة تقريبا، وهو حجم الهاتف الذي يحمله الإنسان في يده، فكل منا يحمل في يده العالم كله، فحينما اشتاق حافظ إبراهيم لمصر وهو شوق يدل على الانتماء والحب لوطنه، تشتاق حروف أحمد آل مجثل، وشتان بين شوق الحروف الذي نتج عن شوق قائلها، وبين شوق القائل الذي ربط الحياة بذاته، منكفئا على داخله.

والصورة الجمالية عند حافظ إبراهيم مرتبطة تماما بالشعور العربي والواقع المعيش، فهو يفرح من الصفات الكريمة، كما يفرح الغريب بعودته إلى دياره، نعم صورة جميلة واقعية، لكن شاعر الجزيرة يُفصّل هذا الواقع، فلم تعد العموميات مشكلة الشعر، بل التفاصيل الصغيرة التي يلتقطها الشاعر من حوله أو من ذاته، فأنامله تجري تجاه الشعر، وكأن الأنامل قد وعت وشعرت بما يشعر به صاحبها، فأصبحت شاهدة وسامعة، وعليها أن تتحرك بوجدانها عسى أن يتطابق الوجدنان، وكذا الروح ليست في الجسد كله لكنها في القلب، وتحديد الروح للقلب شيء مثير للغاية إذا ما وعينا أن القلب موقع الشعور وأن الروح موطن الحياة، فالشعر عند آل مجثل هو حياة القلب أو شعور الحياة أو حياة الشعور.

حتى مفردات القافية والروي أكثر صوتية عند حافظ إبراهيم، ولكنها أكثر ألما وتوجعا عند أحمد آل مجثل شاعر الجزيرة.

وحينما نطلع على ديوان (علَّ وربما) سوف نعرف أن نصوصه تشبه إلى حد بعيد ذات الشاعر، ولكنها تحمل خصائص لها تميزها عن غيرها، حتى النصوص في ذاتها تختلف فيما بينها، وهذا ما دفعني لتناول شعر أحمد آل مجثل باعتباره شاعراً ينجب الشعر صحيحا، ويبلغ بيانه فصيحا ، ويربط بين ذاته والواقع الاجتماعي حوله، مما جعل للشعر وظيفة، فهو يقدم في نصه المعرفة مرتبطة بالزمن ومؤطرة بإيقاع الموسيقي، فإذا شرحت مفرداته نثرا تعلمت جديدا،

وإن ألقيتها شعرا طربت وتراقصت مع هذه المعلومات، فالشعر عنده يشبه الرقص على إيقاع كما أن النثر عند غيره يشبه السير دون انتظام.

يقول شاعر الجزيرة في قصيدة له بعنوان (وطن السلام)

قبّلتُ
بين الحاجبين ثراها
واستبشرت يوم اللقاء سماها
أيقنتُ
أن العاشقين كواكبٌ
تعلو بهم فوق النجوم رُباها
ما زلت
في شَوقٍ ومن شجنٍ
لها أصبو وأرسُم أعيُنا وجَباها
يا دانة الدنيا وحاضرها النّدي
وقبلةً لا أرتجي إلّاها
نُقشَت كما شاء الوفاءُ قصيدتي
وغدَا على ثغر الزمان شذاها
قلبي سنابلُ عشقك الأقصى وذِي
روحي وهَبتُ من الحنين صِباها
أفديك يا وطناً تمسّك بالعُلا
عهدٌ عليّ متَى رجَوتُ اللهَ
كم أدمنَت روحي الطوافَ بعشقها
ما راق لي حين الغرام سواها
يا ضحكة الورد البهي بعطره
تغدو بقلبٍ عاشقٍ سُقياها
هذي بلادي للسلامِ حديقةٌ
سُقيت بمفتون الرياض رباها

الشاعر يتحدث عن المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين وقبلة المؤمنين، وعاصمتها الرياض موطن الورد والعطر والشذا، وهذا هو مجتمعه ووطنه، أما علاقة الشاعر بوطنه فتتجلى في الفخر والشعور بالعزة والرفعة، وحينما ينسج الشاعر حبه الحريري تأتي الصورة بشكل مخترع ومبتكر وفي ذات الوقت معجز وقابل للانجاز في الواقع، عجيب ذلك الشاعر الذي يقدم للمتلقي مفردات عادية لتنتج له صورة فوق العادة، فكلمة (حاجب وقبّل والثرى) عادية للغاية، لكن حينما يحولها الشاعر من مادة خام إلى صنعة شعرية فسوف يختلف الأمر (قبَّلتُ بين الحاجبين ثراها).

نعم المفردة تشبه قطعة حديد خام، هذه القطعة نعطيها لرجل من العامة ليصنعها، ربما صنع منها حدوة حصان، ولو أخذها مهندس متطور ربما يصنع منها موتور سيارة، ولكن حينما نعطيها لعبقري فسوف يصنع منها موتور طائرة أو سفينة فضاء، أو شرائح اتصالات متناهية الدقة، وهكذا اللغة، يستخدمها العامة حسب اتفاق العامة ويستخدمها الروائي بصياغات فنية جديدة، ويستخدمها الشاعر العبقري بتصوير غير مسبوق ولا مطروق.

ولذا لو بحثنا عن التصوير في أي نص في ديوان (علَّ وربما) فسوف نجد أن صور الديوان جميعها صورا مبتكرة، ليست مولدة ولا محورة من صور سابقة، ولا متأثرة بصور سابقة في شعرنا العربي، وبالتالي فهي صور خاصة بالشاعر أحمد آل مجثل وحده، هي انتاج مشاعره وبنات أفكاره وربيبة عقله، ولذلك تأتي واضحة جدا، وعند تحويلها من صورة ذهنية إلى صورة مرئية يصبح الأمر عسيرا على الفنان، وهنا يفصل الشاعر بين صورة الشعر وصورة الواقع، لتظل العلاقة بين الكلمة والواقع علاقة واضحة في جانب ومعقدة في جوانب أخرى.

واستخدام مفردات العصر من حوله حيث يعبر الشعر عن زمنه لنعرف في أي عصر يعيش وسوف تستمر المقالة في البحث عن تطور القصيدة من خلال قصيدته (موال وديمة)، حيث يقول :

كُلّما أطفأ بالشّوق الغَــضب
شبّ في القـلب حـريقٌ ولـهَب
من عَـميق الوجـد يغدو لحنُه
مثلَ صوتٍ صاغَه بين الـهَدب
وتوارى خَـلف مـوّال صــدى
من معين السِّحر أو فكِّ الحُجب
ليت بعـض الروح يا رُبّــانها
تَسكُبُ الكأس رحيـقاً من عتب
هــذه الآفــاقُ نورٌ وغِــويً
و المُنى في طَبعها مُزن السُحب
حين أُمسي والـهوى في خافقي
ديمةً من فيضها ذابَ السَّغـب
يا رفـيقــاً في طـريقٍ شــأنه
من حِياض الشوق يَقتات اللّـهب

***

هكذا نصوص الجواهر النادرة التي تسكن في عمق المحيطات مغلقة بمحار قوي، تجعل الناقد والصائد في حيرة من أمره، حيث إن وصف الوجدان أصعب بكثير من وصف الجسد، ووصف السائل أصعب من وصف الجامد، ووصف الريح أصعب من وصف الشجر، هنا تتجلى موهبة وقدرات شاعر الجزيرة في استخدام أدواته الفنية وثقافته التعبيرية، حيث يمسك بريشته العربية ليصور حالته الوجدانية الحالية، في تشكيل أقرب للدراما منه إلى الغناء، فهو دائم الانتقال من داخله إلى ما حوله، ومن العالم إلى ذاته، فإذا سكب ماء الشوق على نار الغضب لتنطفئ هبت الحرائق في القلب لتشعله، وللنار صوت كصوت الحبيب المحفوظ بين الأهداب، ولا أدري كيف امتدت يد الشاعر لتصوغ هذه اللوحة (حيث يتوارى الصدى خلف صوت الموال، ويهلع الكاتب بين الساحر الذي يفك طلاسم السحر وبين من

يكشف الحجب ، فالصوت بين الأهداب يحتاج لساحر ينقذه، ولكاشف حجب ليفسره).

وهكذا تتراكب المتواليات الشعرية في نصوص شاعر الجزيرة / أحمد آل مجثل الغامدي، ولربما احتاج الناقد ما يحتاجه الشاعر في نصوصه من ساحر وكاشف للحجب، فالخيوط حريرية متشابكة كل خيط يفضي لجاره وللبعيد، وكأن الشاعر يتعمد أن يجعل القارئ متأملا في هذا النص الشعري بالتحديد، وهذا يعني أنه يمتلك القدرة على التنويع في الخطاب الشعري، بين السطح والعمق، وبين البعيد والقريب، وبين الصورة الواضحة وغير الواضحة، وبين الموسيقى الراقصة والسيمفونية الدرامية.

وفي الختام : هذا ديوان شعري يحتاج دراسات أكاديمية حقيقية في الجامعات العربية، عسى أن تأتي هذه الفرصة لذي حظ طيب من أبنائنا الطلاب، وهذا الديوان يمثل بلداً عريقة ومتحضرة من أرقى حواضر الشرق الأوسط هي المملكة العربية السعودية، ويثري المشهد الشعري العربي كتابة ونماذج.

القاهرة في 10 من مارس 2020م

بقلم

الناقد الدكتور / رمضان الحضري

أستاذ الأدب والنقد والبلاغة

بالجامعات المصرية والعربية

الشـــاعــر



أحمد بن عبدالله آل مجثِّل الغامدي

من مواليد ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م
يعمل بالإعلام منذ ١٩٧٦م
صحافة وإذاعة وتلفزة

مستشار إعلامي

مهتم بالشأن الثقافي والأدبي والإعلامي في المملكة العربية السعودية

نتاجه الأدبي والثقافي والإعلامي

- ديوان شعر (خمائل) ١٩٨٢م القاهرة
- ديوان شعر (عندما تبكي الياسمينة) ٢٠١٤م القاهرة
- كتاب / قراءة في وجوه مختلفة وهو قراءة في الشخصية الأدبية ١٩٨٨م
- حقيبة تدريبية في مهارات التعامل مع وسائل الإعلام الحديث ٢٠١٩م.
- صدرت له أبحاث ودراسات في الإعلام الأمني
- عضو سابق في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة
- معدّ ومقدّم برامج إعلامية وأدبية وثقافية - إذاعة وتلفزة في الإعلام السعودي وقناة دبي الفضائية .

وسيصدر قريباً :

- (سيرة الماء والرّمل والسّنابل) ديوان شعر
- كتاب (الملك العاشق ابن عبّاد - قراءة في فقه العُشّاق)

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

رقم الإيداع

٢٠٢٠/٨١٨٨

الترقيم الدولي
978 - 977 - 08 - 1849 - 7